

## عصر الشاعر

حاول رولان بارث (R.Barth) و نقاد ما بعد البنيوية<sup>(1)</sup> إزالة النسبة بين النص و مبدعه مرتكزين على قضية موت المؤلف الذي تنتهي سيادته على نصه بمجرد الانتهاء من الكتابة ، ليتم انفتاح النص « فموت المؤلف هو الثمن الذي تتطلبه ولادة النص »<sup>(2)</sup> . و اكتفت هذه الأصوات بتحليل النصوص دون الإشارة إلى مبدعيها و سيرهم ، و أزال أصحابها العلامات الخارجية ، و ما ارتبط بها من واقع و بيئة ؛ ليتحقق لهم خلود النص ، إذ النص « ليس في حاجة إلى أب يمنحه شهادة الميلاد ، و يعلن انتسابه إليه ، و ينفي عنه أن يكون لقيطاً ، و يدفع عنه تهمة التهجين »<sup>(3)</sup> .

و إذا كانت قصيدة الحداثة من خلال روادها على اختلاف أجيالهم قد ابتعدت عن الذاتية و مقاربة الواقع خوفاً من العودة إلى الوراء ، فإنّ القصيدة الغنائية - التي وسمت الشعر العربي القديم - قد عبرت « أساساً عن تجربة فردية تتعلق بالشاعر المفرد »<sup>(4)</sup> الذي أبداعها ، و عرض نفسه من خلالها بكلّ خصوصياتها و أبعادها ، و أظهر تأثيره بالمؤثرات الخارجية (اجتماعية و سياسية و أدبية ) ؛ و هو ما يقر انتماء النص الغنائي القديم إلى صاحبه و ينفي عنه مسألة موت المؤلف ، و يثبت أنّ العملية النقدية « يجب أن تتحرك بيقظة و مرونة بين مختلف مقومات الظاهرة الأدبية ، و عناصرها »<sup>(5)</sup> الثلاثة : الأديب و النص و المتلقي ، حتّى لا يكون « الأديب نفسه وسيلة أو تقنية من التقنيات الألسنية التي تتكفل ببعث الإبداع الأدبي إلى الوجود »<sup>(6)</sup> .

و هو ما يسمح بتفسير العمل الأدبي انطلاقاً من سيرة حياة الكاتب أو من تحليل الحياة الاجتماعية ، و ما ارتبط بها ، و تسليط الأضواء على الجوانب السياسية و تأثيراتها ، و هو ما دفع جمال شحيد إلى تشبيه هذه العناصر بالتفاحة و الشجرة و المحيط ، يقول : «

(1) - رولان بارث . درس السيميولوجيا . ترجمة : عبد السلام بن عبد العلي . دار توبقال . الدار البيضاء . ط2 . 1986 . ص 86 . و فاضل ثامر . اللغة الثانية . المركز الثقافي العربي . بيروت . ط1 . 1994 . ص 129 و ما بعدها . و عبد الله الغدامي . ثقافة الأسئلة . دار سعاد الصباح . الكويت . ط2 . 1993 . ص 184 - 199 .

(2) - رولان بارث . نقد و حقيقة . ترجمة : منذر عياشي . مركز الإنماء الحضاري . ط1 . 1994 . ص 25 .

(3) - أحمد سويف . القراءة النسقية و مقولاتها النقدية . منشورات الإختلاف . الجزائر . ط1 . 2003 . ص 147 .

(4) - عز الدين إسماعيل . كل الطرق تؤدي إلى الشعر . الدار العربية للموسوعات . لبنان . ط1 . 2006 . ص 67 .

(5) - فاضل ثامر . اللغة الثانية . ص 133 .

(6) - بشير تاويريريت . محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر ( دراسة في الأصول و الملامح و الإشكاليات النظرية و التطبيقية ) . دار الفجر للطباعة و النشر . قسنطينة . الجزائر . ط1 . 1428 هـ - 2006 م . ص 39 .

فدراسة التفاحة بحد ذاتها مهمة ، و لكنها تصبح أهم و أشمل إن لم تفصل عن الشجرة؛ و المحيط الذي عاشت فيه « (1) . ولعل أكثر المناهج قدرة على معرفة طبيعة النصوص الأدبية القديمة هي تلك التي تركز أساساً على بيئة النص و ظروف إنتاجه ، و تعتمد العوامل الخارجية ، و التي خدمت النصوص « في تحليلها - رغم إصرافها في الشرح والتعليل غالباً - خدمة لن نستغني عنها ما بقي الأدب أدباً و الفن فناً » (2) ، و هذا لا يمنع من عرض النصوص المختلفة القديمة على محاكٍ جديدة .

و من هنا ينبغي لنا قبل التطرق إلى الحديث عن شعر ابن عمّار و قبله حياته أن نعرف شيئاً عن العصر الذي أنبته ، و بث آثاره في شعره ، بَعْدَهُ ظاهرة لها خصائصها و ميزاتِها و إتجاهاتها لأنَّ « ... العلم بشؤون الحياة الاجتماعية بأوسع معانيها التي أحاطت بظهور عمل فني ما شرط لا بُدَّ منه لإكمال تذوقنا له . و كلما بعدت الشقة بيننا و بين موطن ظهور هذا العمل في الزمان أو المكان أو الحضارة إزداد شعورنا بهذه الحقيقة » (3) ؛ و الحديث عن الحياة السياسيّة ، و الاجتماعيّة ، و الثقافيّة التي كانت سائدة في عصر الشاعر ، بكل جوانبها تؤثر في مجرى حياته الشخصية ، و لا سيما الفنيّة والأدبيّة ، لأنّه من الطبيعي أن يكون إنتاجه الفني وليد مؤثرات عصره ، و هو ما يجعل « القول بأنّ الفن وثيق الصلة بالحياة مسلمة تقدمها لنا صلتنا بالواقع على سبيل المشاهدة » (4) ، و كل ما يحيط بالشاعر من ظروف عصره يمكنه أن يرشدنا إلى سبر غور من أغوار إبداعه ، و فهم شعره فهماً قد يجلّي المقصود منه و يميّط اللثام عن زواياه المظلمة .

(1) - جمال شحيد . في البنيويّة التكوينيّة . مجلة المعرفة السورية . العدد 225-226 . سنة 1980 . ص 28 .

(2) - عبد الجليل مرتاض . مع الشاب الطريف التلمساني (دراسة أدبية و فنيّة) . مجلة الفضاء المغاربي . جامعة

أبي بكر بلقايد . تلمسان . العدد الثاني . السنة الثالثة . أفريل 2004 . ص 54 .

(3) - مصطفى سويف . الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة . دار المعارف . مصر . طبعة 4 . 1981 .

ص 45 .

(4) - مصطفى سويف . المرجع نفسه . ص 55 .

## الحياة السياسيّة :

ظلت الأندلس فترة من الزمان تحت حكم الخلافة الأموية منذ أن فتحها المسلمون في عهد الوليد بن عبد الملك ، و بعد سقوط دولة الأمويين <sup>(1)</sup> في المشرق أعاد عبد الرحمن الداخل <sup>(2)</sup> تأسيس الخلافة الأموية بالأندلس لتستمر قرابة ثلاثة قرون .

حافظت السلالة الأموية على حكم الأندلس ، و بلغت أوج حكمها في زمن عبد الرحمن الثالث <sup>(3)</sup> . الذي دام حكمه لأكثر من خمسين عاما ( 300هـ إلى 350هـ ) ، و استطاع أن يخلع على نفسه لقب أمير المؤمنين ، و سمي نفسه بالناصر لدين الله ؛ و بوفاته سنة 350 هـ خلفه ولده الحكم الثاني <sup>(4)</sup> . الذي حكم لغاية سنة 366هـ ؛ و لما حضرت الحكم الوفاة أوصى بالخلافة لابنه هشام الثاني <sup>(5)</sup> . الذي لم يتجاوز أحد عشرة عاما ، وجعل عليه

(1) - حين انتقل الحكم في المشرق من يد الأمويين إلى يد بني العباس ، و فتك العباسيون ببني أمية فتكا ذريعا نجا من سيفهم " عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان " الذي توجه شطر الأندلس داخلا قرطبة مستبدا بالأمر فيها سنة 138 هـ / 755 م جاعلا إياها عاصمة لملكه ، حيث بنى فيها القصر و المسجد الجامع ، و نادى بنفسه أميرا للمؤمنين ، و كان عهد بني أمية في الأندلس عهد ازدهار و رقي و حضارة ، و قد إمتد إلى سنة 1031 هـ . انظر : حنا الفاخوري . الموجز في الأدب العربي و تاريخه . " الأدب في الأندلس و المغرب . أدب الإنحطاط " . دار الجيل . بيروت . لبنان . طبعة 2 . 1981 م . ج 3 : ص 14 .

(2) - عبد الرحمن الداخل : هو عدد الرحمن بن معاوية ، صقر قریش ، الداخل ، الأموي ، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس ، و أحد عظماء العالم . ولد في دمشق ، و نشأ يتيما ( مات أبوه و هو صغير ) فتربى في بيت الخلافة ، و لما إنقرض ملك الأمويين في الشام و تعقب العباسيون رجالهم بالفتك و الأسر ، أفلت عبد الرحمن و أقام في قرية على الفرات فنتبعه الخيل ، فأوى إلى بعض الأدغال حتى أمن ، فقصد المغرب ، فبلغ إفريقية... توفي بقرطبة و دفن في قصرها . انظر : محمد موسى الوحشي . موسوعة أعلام الشعر العربي . دار دجلة . عمان . الأردن . 2008 . ص 168 .

(3) - عبد الرحمن الثالث : هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، كنيته أبو المطرف ، أول من تسمى بأمرير المؤمنين في الأندلس ، و تلقب بالناصر لدين الله . دامت فترة حكمه خمسين سنة أي من 300هـ إلى سنة وفاته 350هـ . انظر : أبو عبد الله بن نصر الحميدي . جذوة المقتبس تاريخ علماء الأندلس . تحقيق : إبراهيم الأبياري . دار الكتاب اللبناني . بيروت . لبنان . طبعة 2 . 1983 . ص 41 .

(4) - الحكم الثاني : هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، الملقب بالمستنصر بالله ، كنيته أبو العاص ، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 350هـ ، و بقي في الحكم إلى غاية سنة 366هـ . غزى النصارى و بعض المنشقين عن الخلافة . انظر : أبو عبد الله بن نصر الحميدي . جذوة المقتبس تاريخ علماء الأندلس . ص 42-46 . و أحمد بن محمد المقرئ التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . تحقيق : إحسان عباس . دار صادر . بيروت . لبنان . 1968م . ج 1 : 382-394 .

(5) - هشام الثاني : هو هشام بن الحكم المستنصر ، لقبه المؤيد و كنيته أبو الوليد ، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 366هـ / 976 م و هو لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، حجبه المنصور و استبد بالسلطة لصغر سنه ، و أمه هي صبح البيكنشية ، كانت تمتهن الغناء ، تزوجها الحكم المستنصر و توفيت خلال خلافة هشام المؤيد . إمتاز عهده بكثرة الفتن و الحروب التي مزقت الأندلس ، و تضاربت المصادر في سنة قتله و أرجحها سنة 403هـ . انظر : أبو عبد الله بن نصر الحميدي . جذوة المقتبس تاريخ علماء الأندلس . ص 46-47 . و أحمد بن محمد المقرئ التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن = الخطيب . ج 1 : ص 396-397 . و ابن عذاري المراكشي . البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب . تحقيق و مراجعة : ج.س كولان و إليفي بروفنسال . دار الثقافة . بيروت . لبنان . طبعة 3 . 1983 . ج 2 : ص 253 .

وزيره الحاجب محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور<sup>(1)</sup> وصيا ، و لم يكن هذا الوزير عند ظن سيده ، إذ سرعان ما استحوذ على كل مراكز القوى وتخلص من منافسيه الواحد تلو الآخر بالقتل و الإغتيال حتى قلص نفوذ هشام الثاني ، و جعله لا يغادر القصر وصيره خليفة بغير سلطان .

جمع الحاجب المنصور قدرة إدارية كبيرة و كفاءة عسكرية عالية يخالطها كثير من الحنكة السياسية ، و ميل إلى البطش و التنكيل ؛ و بموته سنة 392هـ -1001م و بموت ابنه المظفر<sup>(2)</sup> ، ثم بمقتل ابنه شنجول<sup>(3)</sup> 399هـ -1008م . انتهى حكم العامريين ، و عادت السلطة إلى البيت مرواني<sup>(4)</sup> ، و بدأ الهبوط السريع لحكم الإسلام في الأندلس ، إذ لم يمض إلا وقت قصير حتى اندلعت فتنة البربر<sup>(5)</sup> ، عاشت خلالها البلاد في فوضى شاملة ، و فساد مستحكم . مما عجل بخلع هشام الثالث آخر خليفة أموي سنة 422هـ /1031م .

سقطت الخلافة الأموية في الأندلس بعد أن أصبحت غير قادرة على تكوين جيش ينقذ الدولة ، و يقضي على الثورات و الفتن الداخلية ، و غاب الأمن و الاستقرار بسبب

(1) - المنصور : هو الحاجب أبو عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور ، معافري الأصل ، من قبيلة حمير اليمينية ، حاجب هشام المؤيد ، و مؤسس الدولة العامرية بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ . استبد بالحكم في خلافة هشام المؤيد و جعل الحجابة وراثية ، و تصرف في الدولة تصرف الملك الحقيقي . توفي سنة 392هـ . انظر : أبو عبد الله بن نصر الحميدي . جذوة المقابس تاريخ علماء الأندلس . ص 131 . ولسان الدين بن الخطيب . أعمال الإعلام في من بويغ قبل الإحتلام من ملوك الاسلام . تحقيق و تعليق : ليفي بروفنسال . دار المكشوف . بيروت . 1956 . ص 59 -83 .

(2) - المظفر : هو أبو مروان عبد الملك بن أبي عامر ، الملقب بالمظفر بالله ، تولى بعد وفاة أبيه المنصور بن أبي عامر حجابة الخليفة هشام المؤيد ، إلى أن وافاه الأجل سنة 399هـ - 1008 م . انظر : ابن عذاري المراكشي . البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب . ج 3 : ص 15 . و أحمد بن محمد المقرئ التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . ج 1 : ص 423 .

(3) - شنجول : هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر ، سمي نفسه الحاجب الأعلى ثم لقب بالمأمون و الناصر لدين الله إلا إن اللقب الذي اشتهر به عند المؤرخين هو شنجول ، و شنجول هو تصغير لإسم شانجة باللغة الإسبانية ، و معناه شانجة الصغير ، و شانجة هو والد السيدة عبدة زوجة المنصور ، حيث إستأذنته لتدعوا ابنها بهذا الاسم التصغيري لتتذكر به أباه ، ولي الحجابة للخليفة هشام المؤيد بعد وفاة أخيه المظفر سنة 399هـ . و توفي في السنة نفسها التي تولى فيها الحجابة . انظر : و ابن عذاري المراكشي . البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب . ج 3 : ص 38-39 . و أحمد بن محمد المقرئ التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . ج 1 : ص 424-425 .

(4) - على محمد سلامة . الأدب العربي في الأندلس ، تطوره ، موضوعاته و أشهر أعلامه . الدار العربية للموسوعات . بيروت . لبنان . طبعة 1 . 1989 م . ص 22 .

(5) - فتنة البربر : هي أحد مظاهر الديكور السياسي للأندلس في نهاية القرن الرابع الهجري : العاشر الميلادي ، و التي بدأت بواكرها إثر سقوط الدولة العامرية ، مخلفة تركة ثقيلة من المشاكل و الفوضى و الأزمات ، أطلق الأندلسيون عليها اسم الفتنة البربرية نظرا للدور الذي لعبته العناصر البربرية في إكفاء نازها ، و هي تعبر عن ذلك الخلاف الذي وقع بين فئتين من المسلمين ، البربر من جهة و الأندلسيون من جهة أخرى ، و بخاصة أهل قرطبة حول منصب الخلافة ، رغم ما يجمع بينهما من روابط كالأرض و الإسلام .

الصراع على الخلافة ؛ و حين أطل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي حاملا معه بوادر الفرقة و التلاشي عادت الصراعات و الأطماع القديمة إلى الظهور ، وانقسمت الدولة إلى عدد كبير من الممالك الصغيرة (1) قد لا تتجاوز الواحدة منها مساحة المدينة الواحدة و ما حواليتها ، وانحسرت عظمة قرطبة (2) ، و صارت تابعة فيما بعد لسلطان اشبيلية التي ملكها بنو عباد اللخميون (3) .

تألاً نجم هذه الأسرة عقب سقوط الخلافة ، و كان مؤسس دولتهم محمد بن إسماعيل بن عباد (4) ، الذي قضى على نفوذ حكام إشبيلية ، و أجمعت كلمة أهلها على تنصيبه زعيماً ، فقبل بشرط أن يختاروا له من بينهم رجالاً يكونون له أعواناً ومستشارين و وزراء ، و قبل الناس بشرطه ، فعين جماعة من أقاربه و أنصاره (1) . كونوا ما يشبه مجلس شورى لإدارة شؤون المدينة ، و تسيير الحكم فيها .

و سرعان ما استقر له الأمر ، و كون جيشاً ، و شجع الناس على الإنخراط فيه ، و درسهم على القتال ، و تخلص من منافسيه الذين لم يشفع لهم تواجدهم في بلاطه ، و لا الحظوة

(1) - هذه الممالك الصغيرة تعرف في التاريخ الأندلسي بدول الطوائف ، و أصحابها بملوك الطوائف ؛ حيث بعد إنتهاء الحكم المرواني صار كل من يجد في نفسه القدرة على القفز إلى السلطة من الأمراء و الرؤساء يستولي على إمارته ، و يستقل بها ثم يسميها دولة و ينصب نفسه ملكاً عليها ، و يتخذ من أهم مدنها عاصمة له ، و من أهم هذه الدويلات : الدولة العبادية في اشبيلية ، و الزيرية في غرناطة و الدولة الهودية في سرقسطة ، و الدولة العامرية في بلنسية ، و دولة بني ذي النون في طليطلة ، و دولة بني الأفطس في بطليوس و بني جهور في قرطبة... انظر : محمّد زكريا عناني . في الأدب الأندلسي . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . مصر . (دب) . ص 20-21 . و أحمد مختار العبادي . في تاريخ المغرب و الأندلس . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . مصر . طبعة 2 . 1425 هـ / 2005 م . ص 204 - 226 .

(2) - كانت قرطبة مركز الخلافة الإسلامية ، فلما تردت أحوالها ، و ساءت عاقبتها تولى شيخ الجماعة أبو الحزم بن جهور إدارة حكومة قرطبة ، بنظام شوري و سنة 422 هـ و استمر في ذلك إثنتي عشرة سنة ، ثم تولى الأمر بعده ابنه أبو الوليد ، و من بعده ساءت الأحوال و اضطرب الأمر ، فخضعت لدولة بني عباد . انظر : منجد مصطفى بهجت . الإتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف و المرابطين . مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع . بيروت . لبنان . طبعة 1 . 1407 هـ / 1986 م . ص 22 . و محمّد مجيد السعيد . الشعر في ظل بني عباد . مطبعة النعمان . النجف الأشرف . طبعة 1 . 1392 هـ / 1972 م . ص 14 .

(3) - هم من العرب الداخلين إلى الأندلس من قبيلة لحم العربية التي نزحت من الشام إلى الأندلس في منتصف القرن الثاني الهجري ، بدأت في اشبيلية ، أكبر دول الطوائف من حيث سعتها و تفوقها السياسي ، و قد حكم بنو عباد هذه المملكة و حاولوا إلحاق مناطق أو ممالك أخرى إلى مملكتهم . انظر : ابن الخطيب لسان الدين . أعمال الإعلام في من بويغ قبل الإحتلال من ملوك الإسلام . ص 152 . و عبد الرحمن علي الحجري . التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة . دمشق . بيروت . 1976 . ص 387-388 .

(4) - محمّد بن إسماعيل بن عباد . يكنى أبا القاسم ، تولى القضاء في حياة أبيه إسماعيل ، و إنفرد بالحكم والتدبير بعد وفاته ، فصار قاضي إشبيلية و رئيسها . و كان هوالمؤسس الفعلي للدولة العبادية ، توفي في سنة 433 هـ ، فخلفه ابنه عباد الملقب بالمعتضد بالله . انظر : أبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال . الصلة في تاريخ علماء الأندلس . تحقيق : صلاح الدين الهواري . المكتبة العصرية للطباعة و النشر و الدار النموذجية . صيدا . بيروت . طبعة 1 . 1423 هـ - 2003 م . المجلد الأول : ص 523 .

(1) - نذكر منهم : الزير أبو بكر محمّد بن الحسن الزبيدي ، و أبو الأصبع عيسى بن حجاج الحضرمي ، و أبو محمّد عبد الله بن علي الهوزني ، و محمّد بن بريم الألهاني .

التي خصهم بها (2) حتى انصاعت البلاد لحكمه ، و قوى نفوذه ، و ثبت مركزه ، و قد اتبع أبو القاسم وسائل مختلفة في سبيل تدعيم مركزه ، و منها ادعاؤه ظهور هشام المؤيد (3) . المشكوك في موته و استخدام ذلك في كسب ود جيرانه .

توفي القاضي أبو القاسم بن عباد سنة 433هـ وتولى الأمر بعده ابنه أبو عمرو بن عباد الذي لقب نفسه بفخر الدولة ، ثم المعتضد بالله (4) ، و قد زعم أيضا أنه حاجب لهشام . كان المعتضد بالله رجل حرب و صراع ، يتميز بالشدة و القوة ، و سفك الدماء ، حيث قضى معظم أيامه في حرب جيرانه (5) . لتوسيع حدود مملكته ، و لما تعاضمت قوة الدولة و اتسعت رقعتها و إزدادت مواردها ، و بسطت سلطانها على الدويلات الواقعة غربي إشبيلية ، و وصلت حدودها إلى شواطئ الأطلسي ، توسع المعتضد بالله نحو الشرق حتى أصبح على أبواب قرطبة ، و احتل الجزيرة الخضراء (1) ؛ و عندما انفرد بالأمور جميعها ، أحب أن ينهي بنفسه أسطورة هشام المؤيد ، فأعلن موته على الملأ ، واستمر في

(2) - انظر : علي بن محمد . النشر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه و أشكاله . دار الغرب الإسلامي لبنان . بيروت . طبعة 1 . 1990 . ج 1 : ص 55 .

(3) - هشام المؤيد قد اختفى عندما عاد سليمان المستعين للمرة الثانية إلى السلطة عام 403هـ ، فلم يعرف أحد ما الذي آل إليه مصيره . و أجمع المؤرخون على أنه سار إلى الحجاز لأداء فريضة الحج و مات هنالك . في حين أن القاضي ابن عباد اختلق أسطورة ظهور هشام المؤيد عنده ، لإخضاع سائر ملوك الطوائف لإرادته ، و سائر إماراتهم لسلطانه ، حيث عثر على رجل يشبه هشاماً في خلقته ، فأشاع في الناس أنه في القصر عنده بإشبيلية ، و أنه يتولى الحجابة له ، ثم أخذ يرسل ملوك الطوائف يطلب البيعة له و لمعرفة قصة إدعاء ظهور هشام المؤيد . انظر : لسان الدين ابن الخطيب . أعمال الإعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام . ص 152-154 . و عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص 96 .

(4) - المعتضد بالله: عباد بن محمد بن إسماعيل . ابن عباد اللخمي ، أبو عمرو الملقب بالمعتمد بالله . صاحب إشبيلية في عهد ملوك الطوائف ، كان في أيام أبيه يقود جيشه لقتال بني الأفطس وغيرهم ، و ولي الأمر بعد وفاته سنة 433هـ . كان شجاعاً حازماً ، ينعت بأسد الملوك لما كان يتميز به من شدة ، و قوة ، و بطش و سفك للدماء ، يحذره الملوك ، و لا يأمنون مكره و سطوته ، و طمعه فيما بين أيديهم من بلدان و مقاطعات . نفقت بضاعة الأدب في عصره ، و كان يطرب للشعر ، و يقوله ، و قد جمع له ديوان في نحو سنتين ورقة ، توفي بإشبيلية بالذبح الصدرية سنة 461هـ . انظر : أبو الحسن علي بن بسام . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم الثاني . المجلد الأول : ص 24 . و ابن عذاري المراكشي . البيان في أخبار الأندلس و المغرب . ج 3 : ص 155-204 . و لسان الدين ابن الخطيب . أعمال الإعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام . ص 155 .

(5) - حارب المعتضد باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، و القاسم بن حمود صاحب الجزيرة الخضراء ، و المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس ... انظر : علي محمد سلامة . النشر الأندلسي في القرن الخامس الهجري مضامينه و أشكاله . ج 1 : ص 57 .

(1) - الجزيرة الخضراء : من أشهر مدن الأندلس و أشرفها ، و أطيبها أرضاً ، تقع شرقي شذونة ، و قبلي قرطبة التي تبتعد عليها بخمسة و خمسون فرسخاً ، لها مرسى من أجود المراسي . انظر : ياقوت الحموي الرومي . معجم البلدان . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . 1979 . ج 2 : ص 136 .

سياسته حتى وفاته سنة 461هـ/1042م ، و تسلم الحكم ابنه محمّد بن عباد الملقب بالمعتمد (2)

اتبع المعتمد في سياسته المنهاج الذي سار عليه أسلافه ، محاولا الاستيلاء على الإمارات الإسلامية بالأندلس ، و ضمها إلى إشبيلية (3) ؛ ففي السنة الثانية لتوليته الحكم حوّل أنظاره إلى قرطبة التي لم ينجح أبوه المعتضد في ضمها إلى إشبيلية . و ان كان قد مهد لابنه السبيل إلى أخذها بإضعاف الحكم فيها ، ذلك أن الوزير أبا الوليد بن جهور (4) ، الذي كان الرئيس في قرطبة ، تنازل سنة 456هـ/1065م لتقدمه في السن ، عن الحكم لولديه عبد الرحمن و عبد الملك ، و كانا يعتمدان في تدبير أمور البلاد على وزير قدير يدعى ابن السقاء . و علم المعتضد أن الاستيلاء على قرطبة لا يكون سهلا ، إلا بعد التخلص من الوزير المذكور . فدس إلى عبد الملك يغريه بقتل ابن السقاء ، و دس إلى الوزير ابن السقاء يزين لها الثورة على عبد الملك . و انتهت الشكوك بينهما إلى أن قتل عبد الملك وزيره . ثم أنقلب أيضا على أخيه عبد الرحمن الذي كان يشاركه في الحكم فسجنه (1) .

وتضعفت الأمور في قرطبة ، و كان المعتضد بن عباد قد مات ، و رأى المأمون بن ذي النون (2) أمير طليطلة الفرصة سانحة للهجوم على قرطبة ، و حمل عليها بجيوشه ،

(2) - محمّد بن عباد : هو محمّد بن عباد بن إسماعيل ، كنيته أبو القاسم ، لقبه المعتمد على الله ، آخر ملوك بني عباد ، تولى الملك بعد وفاة أبيه المعتضد سنة 461هـ ، كان شاعرا مطبوعا . مات في سجنه بأغمت المغربية سنة 488هـ . انظر : أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار . الحلة السيرة . تحقيق : حسين مؤنس . مطبعة دار المعارف . القاهرة . طبعة 2 . 1985 . ج 2 : ص 53 . و أحمد بن محمّد المقرئ التلمساني . نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . ج 3 : ص 234 . و العماد الكاتب الأصفهاني . خريدة القصر و جريدة العصر . قسم شعراء المغرب و الاندلس . تحقيق : أدريتش أذرنوش . نقحه و زاد عليه : محمّد المرزوقي و محمّد العروسي المطوي و الجيلاني بن الحاج يحيى . الدار التونسية للنشر . الشركة الوطنية . تونس . 1971 . ج 2 : ص 25 . و لسان الدين ابن الخطيب . أعمال الأعمال في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام . ص 157 .

(3) - انظر : لسان الدين ابن الخطيب . أعمال الإعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام . ص 158 . و محمّد مجيد السعيد . الشعر في ظل بني عباد . ص 33 .

(4) - أبا الوليد بن جهور : هو عبد الله بن محمّد بن عبد الملك بن جهور من أهل قرطبة ، كان من اهل الأدب ، و البيت الجليل ، و النباهة . ذكره و روى عنه أبو محمّد على بن أحمد بن حزم . انظر : أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال . الصلة في تاريخ علماء الأندلس . مجلد 5 : ص 220 .

(1) - محمّد مجيد السعيد . الشعر في ظل بني عباد . ص 33 .

(2) - المأمون بن ذي النون : هو يحيى بن إسماعيل بن ذي النون ، لقبه المأمون ، ملك طليطلة ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه إسماعيل سنة 435هـ . و كان أعظم ملوك الطوائف ، كانت له حروب مع المعتمد بن عباد سنة 462هـ . في حصار قرطبة ، و إستطاع أن يحتل بلنسية في سنة 458هـ . فقضى بذلك على دولة آل عامر فانتهى له شرف الاندلس . توفي سنة 467هـ . انظر : أحمد بن محمّد المقرئ التلمساني . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . ج 1 : ص 440 . و لسان الدين ابن الخطيب . أعمال الإعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام . ص 177-178 .

و لم يستطع ابن جهور صدّ هذا العدوان و قد انقلب عليه رجاله ، فلجأ إلى المعتمد بن عباد يطلب مساعدته ، و كان المعتمد يتمنى مثل هذه الفرصة ، فسير إلى قرطبة جيشا ، استطاع أن يرد العدوان عنها . و لكن جيش إشبيلية لم يعد إلى بلده بعد النصر كما كان منتظرا ؛ بل ظل ليحتل قرطبة ، و فوجئ عبد الملك بن جهور ، لما رأى جنود إشبيلية الذين جاءوا لمساعدته قد أحاطوا بقرطبة و اقتحموها و قبض المهاجمون على عبد الملك بن جهور و أخيه عبد الرحمن و سائر أهل بيته ، و أخرجوهم جميعا في أسوأ حال ، و نفوهم إلى جزيرة شلطيّش<sup>(3)</sup> .

و صارت قرطبة بيد المعتمد بن عباد ، و ذلك سنة 462هـ/1070م<sup>(4)</sup> ، و قد وُكِّلَ عليها ابنه عباد الملقب بسراج الدولة ، و كان يدبر أمورها معه وزيراً اسمه ابن مرتين<sup>(5)</sup> . على أن المأمون بن ذي النون لم يسكت طويلا عن هزيمته في قرطبة ، فقد اتفق مع رجل ثائر اسمه حكم ابن عكاشة<sup>(6)</sup> على أخذ قرطبة و كان ابن عكاشة من رجال ابن السقاء ، سجنه عبد الملك بن جهور بعد مقتل ابن السقاء و كان المأمون بن ذي النون قد استماله ، و ولاه بعض الحصون ليستعين به على ابن عباد . و قد ظل ابن عكاشة هذا يعمل في السرّ و يتجسس في قرطبة حتى هجم ذات ليلة من سنة 467هـ/1075م في كتيبة من الجند و سار مع بعض رجاله أولا إلى القصر ، و لم يعرف عباد بن المعتمد شيئا مما قد دبر حوله من المؤامرات بسبب لهوه ؛ و لما أحاط الرجال بقصره خرج إليهم مع عدد قليل من رجاله ، و تصدى لهم يحاربهم ، و لكنه لم يلبث أن قتل و ترك مرميا على قارعة الطريق .

و بعد أن استولى ابن عكاشة على القصر و قتل عباداً توجه إلى قصر ابن مرتين و قتله ، و بذلك صارت قرطبة في حوزة بني ذي النون سنة 467هـ/1075 م . إلا أنّ المأمون بن ذي النون توفي في السنة التي احتل فيها قرطبة نفسها ، و تولى الأمر بعده ابنه

(3) - جزيرة شلطيّش : بالسبانية " ISLA . SALTES " جزيرة صغيرة تقع في وادي ولبة ، قرب مدينة ولبة ، جنوب غربي اسبانيا ، و هو اليوم جزء من محمية طبيعية كانت تقع بها مدينة شلطيّش التي كانت تحميها قلعة تبعد أبعادها 40x70 م. انظر : ياقوت الحموي . معجم البلدان . ج 2 : ص 122 .

(4) - لسان الدين ابن الخطيب . أعمال الإعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام . ص 158 .

(5) - انظر : محمّد مجيد السعيد . الشّعْر في ظل بني عباد . ص 33 .

(6) - عندما استولى المعتمد على قرطبة اغتاز المأمون بن ذي النون عليها ، فضمن له جرير بن عكاشة أن يعيدها إلى مملكة طليطلة فساعده ، و كان له ما أراد ، من هنا اتضح أن بن عكاشة كان أحد قواد المأمون ملك طليطلة .



الملقب بالقادر ، و كان ضعيفا ، فطمع في ملكه أمراء الأندلس و لا سيما المعتمد بن عباد الذي ظلت قرطبة هدفه الأول .

لم يجد ابن عكاشة مساعدة من أهل قرطبة الذين تدمروا من استبداده و ظلمه ، مما دفعهم الى الاستغاثة بالمعتمد الذي أقبل اليهم برجاله طالبا ثأر ابنه و مصمما على إرجاع قرطبة إلى حكمه ، ففر ابن عكاشة ، و لكن رجال المعتمد حاولوا ثانية ، و لما تم له الأمر سنة 469هـ ولى عليها ابنه الملقب بالمأمون ، و ظلت قرطبة تابعة لحكم المعتمد حتى استولى عليها يوسف ابن تاشفين الذي فزع اليه أمراء الطوائف إثر سقوط طليطلة في أيدي أعداء الإسلام النصارى ، و اضطر المعتمد الى الاستنجاد به و بجيوش اخوانه المرابطين لتفادي زحفة الشمال<sup>(1)</sup> ، لكن الأمر لم ينته إلى هذا بل سقطت إشبيلية في يد المرابطين<sup>(2)</sup> . و أمر الأمير يوسف « بإرسال المعتمد إلى مدينة أغمات ، و اعتقاله بها »<sup>(1)</sup> ، و ظل أسيرا بأغمات إلى أن وافاه أجله سنة 488هـ ، و بوفاته انتهت دولة بني عباد ، و آل الأمر إلى المرابطين الذين حكموا الأندلس إلى أن سقطت في أيدي الموحدّين .

من خلال ما تقدم ، يمكننا أن نقول إن عصر ملوك الطوائف قد شهد زخماً سياسياً عظيماً ، مثله الصراع الدائم بين الملوك ، لأجل تقوية سلطانهم ، و حماية حدودهم بالتوسع على حساب بعضهم بعضاً حباً في الشهرة و السيطرة لا في سبيل غاية سامية ولا هدف نبيل .

و إذا كان هذا شأن الحياة السياسيّة في هذه الفترة من تاريخ إشبيلية ، فكيف كانت أوضاعها الاجتماعية ؟ .

## الحياة الاجتماعيّة :

(1) - بعد سقوط طليطلة فزع المعتمد فزعا شديدا و ارسل الجزية إلى الأذفونش فردها عليه ، و لم يقبلها منه، فأرسل إليه يتهدده و يتوعده أنه يسير إلى مدينة قرطبة و يمتلكها . و راح يشرط شروطا قاسية في غاية الإهانة و المذلة ، منها أن يتنازل له المعتمد عن بعض الحصون الجبلية المنيعة . و اوفد إليه من أجل ذلك الغرض رسولا وقحا فقتله ، فساءت العلاقات بينه و بين الأذفونش ، و بلغت ذروتها من التوتر ، إلى أن هاجمت جيوش النصارى مملكة اشبيلية . انظر : عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم ابن الأثير . الكامل في التاريخ . ج 8 : ص 138 . و أبو العباس شمس الدين أحمد أبي بكر ابن خلكان . وفيات الأعيان و انباء أئمة الزمان . حققه : إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت . لبنان . ( د ط ) . ( د ب ت ) . ج 5 : ص 28 .

(2) - محمد شهاب العاني . الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف . دار دجلة . عمان . الأردن . طبعة 1429هـ / 2008م . ص 18 .

(1) - أبو العباس شمس الدين أحمد أبي بكر ابن خلكان . وفيات الأعيان و أنباء الزمان . ج 5 : ص 32 .

على الرغم من الاضطراب السياسي الذي أصيب به عصر ملوك الطوائف ، فإن المجتمع الأندلسي على عهد ابن عمّار ، كان خليطاً من الأجناس ، و الإثنيات التي تشكلت فسيفساء غير متجانسة ، رغم كل المحاولات اليائسة في جعل المجتمع الأندلسي ، ينصهر في بوتقة واحدة (2) ، فكان منهم العرب الوافدون مع موسى بن نصير ، و ما تلاه من وفود الفتح القادمة من المشرق العربي . ثم العرب منهم العدنانيون و القحطانيون (3) ، الذين كانت لهم سلطة الحكم ، و حظوة الاقتصاد و المال ، و هناك الأسالمة ، و هم الإسبان الذين أسلموا ، إما عن اقتناع ، و إما مداراة للمسلمين (4) ، حتى يحافظوا على مصالحهم ، ثم هناك المولدون ، و هم من ولدوا لآباء من الإسبان (5) ، و كانوا جميعاً يشتغلون بالزراعة ، و التجارة و الصناعة . و قد استقطبت المهن المرتبطة بالطب و الصيدلة ، و المعاملات المالية العرب و غيرهم . و شكل الصقالبة عنصراً من العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي ، و هم أجناس غير إسبانية : ( إيطاليين و جرمانيين و فرنسيين ، و غيرهم ) كانت لهم مراكز هامة في السياسة و الجيش ، و ظهر دورهم بارزاً في تدبير المؤامرات و الانقلابات ؛ و لعلّ الأمازيغ الوافدين من شمال افريقيا شكلوا أكثرية المسلمين ، و قد دخلوا البلاد الأندلسية مع الفاتحين العرب و استقروا بها .

هذه هي أهم التركيبات العرقية التي ميزت تشكيلة المجتمع الإشبيلي و قد أعطت باختلاف أصولها و أديانها للمجتمع قناعات خاصة قلما نجدها في مجتمع آخر مما يحتم على السلطة أن تبذل جهوداً لضبط الأمور و تحقيق الانسجام الذي يقتضيه الوضع - خاصة أنه يشكل خليطاً عجيباً من الأجناس و العصبية .-

و مهما يكن من أمر فإن هذه العناصر قد ساهمت في إثراء الحركية الاجتماعية و الإقتصادية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، بما حملته من تنوع معرفي و ديني نسج هذه الفسيفساء و حافظ على خصوصية ألوانها .

(2) - محمّد مجيد السّعيد : دراسات في الأدب الأندلسي . دار الكتب الوطنية . بنغازي . ليبيا . طبعة 1. 2001 . ص

45 .

(3) - حسين مؤنس . فجر الأندلس . الدار السعودية للنشر و التوزيع . طبعة 2 . 1985 . ص 371-372 .

(4) - فالإسبان أنفسهم كان منهم المسلم الذي اعتنق العقيدة الواحدة ، و المسيحي الذي ظل على مسيحيته . انظر :

محمّد مجيد السّعيد . -دراسات في الأدب الأندلسي . ص 45 . -الشعر في ظل بني عباد . ص 47 .

(5) - محمّد مجيد السّعيد . الشعر في ظل بني عباد . ص 47 .

و بما أن المجتمع الإشبيلي كان مجتمعاً ملكياً ، فإن ظاهرة الطبقة الاجتماعية قد إتضحت فيه ، حيث قسم – المجتمع الإشبيلي – إلى ثلاث طبقات رئيسية :

## 1- الطبقة الأرستقراطية :

كانت تمثل القمة في المستوى المعيشي و أسلوب الحياة الرفيع ، و تضم « فئة قليلة من الشعب ، تسيطر على إقتصاديات البلاد ، و تمتلك ثرواتها ، و بهذا تنحصر في الملوك ، و الأمراء ، و الوزراء ، و التجار الكبار و أصحاب المزارع الواسعة »<sup>(1)</sup> . و قد تميزت هذه الطبقة بإظهار الأبهة ، و « البذخ المسرف والإجرام السافر »<sup>(2)</sup> . فمن أجل تشييد القصور الملكية و العمارات الضخمة ، عمد أصحابها إلى « إئثار كاهل رعاياهم بالضرائب حتى يتمكنوا من الإنفاق على وجوه ترفهم من البناء و المتاع ، واللّهو ، و على الغزو ، مما يضطر إليه في العادة عظماء الملوك »<sup>(3)</sup> ، كما أجبروا الملاكين الصغار على ترك أراضيهم بمختلف الوسائل ، و فرضوا ضرائب باهضة خدمةً لأغراضهم و توسيعاً لرقعة نفوذهم<sup>(1)</sup> .

و ما نستنتجه من هذه الطبقة أنها كانت الأكثر ثراء في المجتمع الإشبيلي ، و به استطاعت بسط نفوذها السياسي و الإداري و الإقتصادي في إشبيلية<sup>(2)</sup> ، و يورد لنا المقري صورة حية لقمة الثراء و الفساد ، ذلك ما فعله المعتمد بن عباد لزوجته الرميكية<sup>(3)</sup> التي رأت الناس يمشون في الطين في يوم مطير ، فأحبت أن تفعل مثلهم فأمر المعتمد خدامه فسحقت أشياء من الطيب و العنبر و المسك و الكافور و ذرت في ساحة القصر ،

(1)- انظر : محمّد مجيد السعيد . الشعر في ظل بني عباد . ص 50.

(2)- إمبليو غرسيا غومس : الشعر الأندلسي بحث في تطوره و خصائصه. ترجمة: حسين مؤنس . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . طبعة 1956..2 . ص 44.

(3)- عمر فروخ . تاريخ الأدب العربي . ج 4 : ص 391 .

(1)- صلاح خالص . إشبيلية في القرن الخامس الهجري . دار الثقافة . بيروت . لبنان . 1981م . ص 43-44.

(2)- صلاح خالص . المرجع نفسه . ص 46.

(3)- الرميكية : هي إعتقاد و تكنى بأمر الربيع ، و تعرف بالسيدة الكبرى ، و لقيت بالرميكية نسبة لمولها رميك بن الحجاج ، و منه إتباعها المعتمد في أيام أبيه المعتضد ، نفيت معه إلى أغمات و ماتت قبله . انظر: أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار . الحلة السيرة . ج 2 : ص 62-63 . و أحمد بن محمّد المقري التلمساني . نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر عن وزيرها لسان الدين بن الخطيب . ج 4 : ص 211.

حتى عمته و صب فيها ماء الورد ، و صير الجميع طيبا في الساحة ، وخاضت فيه مع الجوارى و أباد فيه المعتمد من الأموال ما لا يعلمه إلا الله (4) .  
و قد ارتبطت مصالح هذه الطبقة بـ :

## 2- الطبقة الوسطى :

و تضم هذه الطبقة (5) موظفي الحكومة و التجار الصغار ، و بعض رجال العلم والأدب و أصحاب المشاريع الصناعية . و أصحاب هذه الطبقة لا يتمتعون بترف الأرستقراطية و بذخها (6) و لكنهم – مع ذلك - لا يقاسون صعوبات العيش التي يقاسيها العامة (7) .

هذا إلا أنه كان الأمن الداخلي و العدالة و السلم الخارجي أهم مطالب أصحاب هذه الطبقة من السلطة ، لأن في ذلك نجاحا لأعمالهم و تأمينا لمصالحهم ، فإن حققت الطبقة الحاكمة هذه المطالب ساندوها ، أما إذا عجزت عن تحقيقها أو أثقلت كواهلهم بالضرائب فإنهم لا يترددون في مساعدة أعدائها للتخلص منها (1) .  
رغم ذلك فإنهم ليسوا خطرا على الحاكمين فهم متجهون غالبا إلى الهدوء و المسالمة و إطاعة أولى الأمر (2) . و هي ميزة تشاركهم فيها :

## 3- الطبقة الدنيا :

و مثلت الأكثرية الساحقة من سكان المدن أطلق عليها اسم " العامة " تفريقا لها عن " الخاصة " (3) ، و تسمى كذلك بالطبقة الكادحة ، و هي تضم الحرفيين و العمال وصغار

(4) - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب .ج 4 : ص 273-272.

(5) - صلاح خالص .إشبيلية في القرن الخامس الهجري .ص 51.

(6) - محمد مجيد السعيد . الشَّعر في ظل بني عباد .ص 53.

(7) - يعني بها الطبقة العامة .انظر : هذا البحث .ص 20.

(1) - انظر: محمد مجيد السعيد .الشَّعر في ظل بني عباد. ص 53 . و صلاح خالص .إشبيلية في القرن الخامس الهجري .ص 53.

(2) - صلاح خالص . إشبيلية في القرن الخامس الهجري . ص 53.

(3) - تغنى الأشراف و الأغنياء و من يحيط بالأمر من خواص و وزراء.

التجار و الأجراء و العبيد و المرتزقة و الفلاحين و غيرهم ؛ و كل أولئك الذين جاءوا إلى المدينة لتوفير اليسير من الرزق (4) .

و أهم ما يميز أصحاب هذه الطبقة عن غيرهم هو الجوع و العوز و الحرمان « حتى غدا كثير منهم يلبسون الجلود و الحصر ، و يأكلون البقل و الحشيش » (5) ؛ ففي إشبيلية عام ( 446هـ/1056م) حدثت مجاعة مريعة بلغت حدّ الموت لدرجة « اضطر الناس فيها إلى دفن كل ثلاثة أو أربعة في قبر واحد » (6) .

تلك هي الحالة الاجتماعية التي كان المجتمع الإشبيلي يحيها في عهد الطوائف ، والتي اتسمت بالبلا عدل بين الفئات و الطبقات المشكلة لذلك النسيج الاجتماعي المتدهور ، فهي إن ساعدت القليل من الناس أن يصبحوا أثرياء مترفين ، فإنها في الجانب الآخر أضرت الأغلبية المشكلة لذلك المجتمع . و خوفا من خروجنا عن الموضوع فإننا حاولنا قدر الإمكان إلقاء بعض الأضواء على عصر الشاعر ، و على صيغة الحياة الاجتماعية التي اتصف بها هذا العصر ؛ ليكون في ذلك عونا لنا في أن نقارن بين حياة الشاعر ، وعمله الشعري ، و بين الحقائق التاريخية التي وافانا بها المؤرخون (1) ، في القرن الخامس الهجري ، لتتضح لنا شخصية الشاعر و آثاره .

و إذا كانت الحياة الاجتماعية على تلك الشاكلة فإن الحياة الثقافية و الأدبية كانت أحسن حالا منها ، و ذلك ما سنوضحه في الآتي .

## الحياة الثقافية و الأدبية :

عرفت الحركة الثقافية و الأدبية في عهد الدولة العبادية ازدهارًا و تطورًا كبيرين - برغم ما اتسم به عصرها من حروب و قتال من أجل تقوية المملكة و توسيع رقعتها - حيث نمت بعض جوانب هذه الحركة ، فظهرت نهضة فكرية شاملة ، نضجت فيها العلوم ، و ازدهرت الآداب ، و أثمرت الفنون ، و نشطت الدراسات التاريخية و الفلسفية ، و اتسعت الحركة الفكرية بمختلف ألوانها ، و كان نتاجها ظهور جمهرة وفيرة من العلماء و قادة الفكر ، خلدهم التاريخ ، و رددت الألسن ذكرهم في المحافل و المجامع .

(4) - صلاح خالص . إشبيلية في القرن الخامس الهجري . ص 53..

(5) - ابن عذاري المراكشي . البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب . ج 3 : ص 162.

(6) - صلاح خالص . إشبيلية في القرن الخامس الهجري . ص 54.

(1) - أمثال : أبو الحسن علي بن بسام ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، عبد الواحد المراكشي و غيرهم.

و نحن إن أردنا أن نعدد هؤلاء العلماء و إنتاجهم الأدبي ، و العلمي ، ما استطعنا لذلك سبيلا ؛ بسبب كثرتهم ؛ و إنتاجهم الضخم ، و إنما سنذكر بعضهم على سبيل المثال ، مراعيينا في ذلك التخصص الذي إنفرد به صاحبه ، فكان أبو عمرو عمر يوسف بن عبد البرّ القرطبي (2) ، و أبو حفص بن الحسن الهوزني (3) ، و عبد الله بن إسماعيل بن محمّد اللخمي الإشبيلي (1) ، من أشهر علماء إشبيلية في العلوم الدينية – الفقه خصوصا - التي كانت لها في القرن الخامس المكانية المرموقة ، على الرغم من التفسخ الأخلاقي ، والانغماس في ملذات الدنيا ، التي أقبلوا عليها إقبالا كبيرا ، و لقي العالم المشتغل بهذه العلوم الاحترام الكبير و التقدير الجليل من قبل الخاصة و العامة على السواء ، و نظرا لتأثير الفتنة (2) في المجتمع الأندلسي ، سعى الأمراء في تقريبهم من مجالسهم و بذل الهبات لهم لإسكات ألسنتهم و لإرضائهم و منع تقليب قلوب العامة .

كما نشطت العلوم اللغوية ، و بدا الاهتمام ملحوظا بعلم النحو و الصرف ، و البلاغة و العروض و غيرها ، و برع في هذا الميدان علماء و لغويون من أمثال سعيد بن عبد الله بن دحيم الأزدي القرشي النحوي (3) ، و أبو الحجاج يوسف بن عيسى بن سليمان النحوي

(2) - يوسف عبد البرّ القرطبي : كان متصلا بالمعتضد بن عباد ، و قيل عنه أنه أحفظ أهل الأندلس مع الثقة و الدين و النزاهة و التبحر في الفقه ، و له ما يقرب من عشرة تصانيف منها :- التمهيد لما في المطأ من المعاني و الأسانيد – كتاب الإستدراك لمذهب علماء الأمصار فيما تضمنه المطأ في المعاني و الرأي و الآثار. - كتاب الإستيعاب في أسماء الصحابة النجاشي ، توفي 463هـ. انظر : أبو القاسم خلف بن الملك بن بشكوال – الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم ، و فقهاءهم ، و أدبائهم .ج. 2: 677-679 . و أحمد بن محمّد المقرئ التلمساني. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب .ج. 4 : ص 29 . و الفتح ابن خاقان . قلائد العقبان في محاسن الأعيان . ص 189. محمّد مجيد السعيد. الشعر في ظل بني عباد . ص 61.

(3) - أبو حفص الحسن الهوزني : هو أول من أخذ عنه أهل المغرب صحيح الترميذي ، و قد إتصل بالمعتضد بن عباد ، و مقتله على يديه حين خاطبه بأبيات يستحثه فيها على الجهاد عندما إحتل النصارى مدينة بريشتر ، فاستقدمه الملك إلى إشبيلية ، و أعلى مقامه ، و هو ينوي الغدر به ، فلما إطمأن أبو الحفص الهوزني ، و استقر به المقام ، إستدعاه ابن عباد ذات ليلة ، و قتله بيده ليتخلص من مواعظه سنة 460هـ ، انظر : أبو الحسن بن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم 2 . المجلد 1 : ص 81-82 . و أبو القاسم بن خلف بن الملك ابن بشكوال. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم ، و فقهاءهم ، و أدبائهم .ج. 2 : ص 402. و محمّد مجيد السعيد . الشعر في ظل بني عباد . ص 61.

(4) - عبد الله بن إسماعيل بن محمّد اللخمي : من جلة الفقهاء و له عناية فائقة في العلوم التي أخذها عن مائتين و خمسة و ستين ( 265 ) رجلا و امرأتين بالأندلس . توفي سنة 478هـ . أنظر: محمّد مجيد السعيد. الشعر في ظل بني عباد . ص 62 . و أبو القاسم بن خلف بن الملك ابن بشكوال . الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم ، و فقهاءهم ، و أدبائهم .ج. 1 : ص 284.

(2) - انظر : هذا البحث . ص 10 و ما بعدها.

(3) - بن دحيم الأزدي القرشي : هو سعيد بن عبد الله بن دحيم الأزدي القرشي النحوي ، عالم بالأدب و الأخبار ، إمام في كتاب سبويه ، ذو حفظ وافر في اللغة و شرح الأشعار ، توفي سنة 429هـ. انظر : محمّد مجيد السعيد . الشعر في ظل بني عباد . ص 63-64.

، المعروف بالأعلم الشنتمري<sup>(4)</sup> ، فكانوا في عصرهم كما كان الخليل وسبويه في عصرهما . و في علم التاريخ الذي عدّوه من أنبل العلوم و أشرفها كان أبو مروان بن حيان<sup>(5)</sup> .

و بالإضافة إلى ذلك اهتم الإشبيليون بالفلسفة و التنجيم ، و قد لقي المشتغلون بهما معارضة شديدة من قبل الفقهاء و رجال الدين ، الأمر الذي أدى ببعض الأمراء و الملوك إلى حرق كتب هؤلاء الموصوفين آنئذ بالزنادقة<sup>(1)</sup> .

أما الأدب – و لا سيما الشعر- فكانت مجالسه من « أكبر مسارح الأفكار و أفخم مظاهر الجمال ، و أجمع أنواع الأدب ، و اللهو و الجد و الهزل »<sup>(2)</sup> ، و أكثر أنواع الثقافة انتشارا و رواجاً في الأندلس في فترة ملوك الطوائف بخاصة ، و من هنا « كان هذا الزمان عصراً عظيماً للشعر و الشعراء إذ تنافس ملوك الطوائف في اجتذاب الشعراء إلى نواحيهم (...) و لكن عناية بني عباد أصحاب إشبيلية به أعظم و أشمل »<sup>(3)</sup> فكان أبو بكر بن عمّار<sup>(4)</sup> و أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون<sup>(5)</sup> ، و أبو محمد عبد الجليل بن وهبون<sup>(6)</sup> و غيرهم من شعراء هذا العصر .

(4)- الأعلم الشنتمري : هو يوسف بن عيسى بن سليمان النحوي ، كنيته أبو الحجاج المعروف بالأعلم عالم باللغة و الأدب . ولد في شنتمرية الغرب ، و رحل إلى قرطبة ، و كف بصره في آخر عمره و مات في إشبيلية سنة 476هـ. له مؤلفات منها :- شرح الشعراء الستة -، تحصيل عين الذهب في شرح شواهد سبويه، انظر : أبو القاسم بن خلف بن الملك ابن بشكوال الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم، وفقهائهم ، و أدبائهم ج. 2 : ص 681. و خير الدين الزركلي. الإعلام. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان . طبعة 5 . 1980. ج 8 : ص 233.

(5)- أبو مروان بن حيان : كان اتصاله بالدولة العبادية بعد فتح قرطبة على يد المعتمد ، فعاش في كنفه الى أن وافاه أجله سنة 469 هـ ألف كتابين ضخمين هما : المقتبس في تاريخ الأندلس و المتين. انظر : القاسم بن خلف بن الملك ابن بشكوال الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم، وفقهائهم ، و أدبائهم . ج 1 : ص 153 محمد مجيد السعيد . الشعر في ظل بني عباد . ص 65.

(1)- الزنادقة : ج : زنديق ، و هو المشكوك في صحة اعتقاده .

(2)- أحمد ضيف بلاغة العرب في الأندلس . دار المعارف للطباعة و النشر . تونس . طبعة 2 . (د.ت). ص 35.

(3)- إمبليو غرسيا غومس . الشعر الأندلسي بحث في تطوره و خصائصه . ص 45.

(4)- انظر : هذا البحث. ص 29 .

(5)- أبو الوليد ابن زيدون : هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور ، كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة . إنتقل عن قرطبة إلى إشبيلية سنة 441هـ إلى أن توفي فيها سنة 463هـ . انظر : الفتح ابن خاقان . قلائد العقبان في محاسن الأعيان . ص 209 . أبو الحسن علي بن بسام . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم 1 . المجلد 1 : ص 336. أبو عبد الله بن نصر الحميدي . جذوة المقتبس . تاريخ علماء الأندلس . ص 121.

(6)- عبد الجليل بن وهبون : هو أبو محمد عبد الجليل بن وهبون ، أحد الشعراء الفحول . من أهل مرسية ، استقر بإشبيلية ، و هو شاعر بلاط مصقولاً متحرراً ، صاحب ابن عمّار و أخلص له ، و أنزله المعتمد منزلة عظيمة و قصره على هواه فلم يرحل إلى ملك سواه و وصفه الضبي بأنه أحد الشعراء الأدباء الفحول يرى

و يعود سبب ازدهار النهضة الثقافية إلى التشجيع الذي أولاه ملوك بني عباد لهذه الناحية ، حيث أغدقوا الأموال على الأدباء و الشعراء (7) و خصصوا لهم الجوائز والهبات ، فكثر حماسهم و قوي نشاطهم ، حتى صارت إشبيلية « مجمعا لصوب العقول و ذوي العلوم ، و ميدانا لفرسان المنثور و المنظوم » (8).

هذا فيما يخص الحركة الثقافية بصورة عامة ، أما فيما يخص باقي الفنون ، ونعني بالأخص الموسيقى و الغناء ، فقد عرفت رقيا خلال عهد الدولة العبادية .  
ففي حضان طبيعة اشبيلية الجميلة الغناء ، و ما ترفل به من سحر و صفاء ، و ما تتسم به من خضرة دائمة و ظلال وارفة (1) ، ازدهر الغناء ، و كثرت مجالس الأناجس ، أين التقى الشعراء بالجواري و الغلمان ، و تتداول أشعار و كؤوس الخمرة (2) . و أصبح المجتمع الأشبيلي يتوفر على جميع وسائل الحياة الترفيهية ، مما ساعده على تطوير مختلف هذه الفنون و ازدهارها .

و نخلص من خلال تتبعنا للحركة الثقافية في اشبيلية و قبلها الحياة الاجتماعية و السياسية إلى :

إن الحياة الأندلسية أعمق و أعقد من أن نكون ألمنا بها في هذه الصفحات السابقة ، ولكننا لم نرد الإمام الدقيق ، بل أردنا الإشارة إلى الخطوط الرئيسية و العلامات البارزة لنستطيع الوقوف على تلك المفارقة بين حياة مضطربة اجتماعيا و سياسيا و في الوقت نفسه مزدهرة أدبيا و ثقافيا و التي في كنفها عرف الشاعر ابن عمار طريقه إلى الوجود ، وإلى الإبداع .

المطروق و المنحول ، كان ميالا إلى اللهو و الغلمان ، و ذكروا له شعرا كثيرا في ذلك و لكنه كان يمزج بين الجد و الهزل في شعره . توفي على يد الإفرنج سنة 480هـ . انظر الضبي . بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس . ج1 : ص 374 . و الفتح ابن خاقان . قلاند العقيان في محاسن الأعيان . ص 278 . و عبد الواحد المراكشي . المعجب في تلخيص أخبار المغرب . ص 102 .

(7) - كان الأدب أكثر أنواع الثقافة إنتشارا ، و رواجا في الأندلس على عهد ملوك الطوائف ، حيث إهتموا به إهتماما بالغا و متزايدا ، فكان امير يعمل على أن يكون في كتفه من الكتاب و الشعراء ما يفوق ما لدى منافسه عددا و مكانة . انظر: جودت الركابي في الأدب الأندلسي . دار المعارف . مصر . طبعة 2 . 1966 . ص 64 .

(8) - أبو الحسن علي بن بسام . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم 2 . المجلد 1 : ص 11 .

(1) - محمد مجيد السعيد . الشعر في ظل بني عباد . ص 70 .

(2) - محمد مجيد السعيد . المرجع نفسه . ص 71 .